وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم الجغرافية

المجال الحيويّ التركيّ في شرق البحر المتوسط

أُطروحةُ مقدمة
إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالى وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة في الجغرافية

من قبل الطالب

إياد جاسم جبر الموالي

بإشراف
الأستاذ الدكتور

فراس عبد الجبار عبد الله

١٤٤٥ هـ ٢٠٢٤م

المستخلص

يعدمفهوم المجال الحيوي من المفاهيم القديمة التي استخدمت من قبل كثير من ا والدول في السابق قبل أن يظهر هذا المفهوم كنظرية سياسية على يد فريدرك راتزيل فهو يعني حاجة الدولة لمساحة من الاراضي لتأمين حاجات شعبها حتى لو كانت على حساب الشعوب الأُخرى وقد تطور من المفهوم التقليدي الذي كان يتخذ من الارض والسيطرة على الاراضي القريبة واستخدام القوة العسكرية في السيطرة الى مفهوم جديد يهدف للسيطرة على الاراضي البعيدة جغرافياً باستخدام الوسائل العسكرية والاقتصادية والسياسية . وتعد منطقة شرق البحر المتوسط من المناطق المهمة من الناحية الاستراتيجية والجيوبوليتيكية فلها موقع متميز اذ تربط بين قارات العالم القديم وتعد اقصر الطرق التي تربط شرق العالم بغربه وقد زادت أهميتها بعد اكتشاف مصادر الطاقة فيها مما جعلها منطقة صراع بين القوى الدولية والاقليمية اذ ترى تركيا أن لها الحق في شرق البحر المتوسط اذ يمثل امتداها الجغرافي ومجالها الحيوي فضلاعن امتلاك تركيا اطول ساحل يشرف عليه وتحاول تركيا اعادة هذه المنطقة الى نفوذها اذ كانت تحت السيطرة العثمانية في السابق . لكنها تصتدم بعدد من الدول الاقليمية والدولية التي لها مصالح في هذه المنطقة اذ اصبحت منطقة صراع بين الدول المتنافسة لكن تركيا ترى في نفسها الحق لاستثمار هذه الموارد اذ تعدها جزءاً منها ويحق لها استغلال موارد الطاقة المكتشفة فيها لحاجة تركيا لها بعد التطور الكبير الذي شهدته تركيا بعد عام ٢٠٠٣.

وتهدف الدراسة الى بيان مفهوم المجال الحيوي القديم والحديث وبيان اهمية شرق البحر المتوسط واهم الصراعات الدولية والاقليمية فيها وقد توصلت الدراسة الى جملة من النتائج منها ان المنطقة تحظى بأهمية جيوسياسية وجيوإستراتيجية كبيرة وهي تستمد مكانتها من كونها جزءا من حوض البحر المتوسط وشهد شرق البحر المتوسط صراعات متعدّدة الأقطاب دولية واقليمية ، لكن محورها الأساسي يدور حول السيطرة وزيادة النفوذ والهيمنة واستخراج الغاز والتحكم بمسالك النقل فضلا عن الفوز بحصّة من الثروات الباطنية المتوقعة وخلق حالة من التوازن السياسي والعسكري .

الفصل الاول

المجال الحيوي نشأته وتطوره

المبحث الاول :

المفهوم التقليدي للمجال الحيوي

المبحث الثاني :

المفهوم المعاصر لفكرة المجال الحيوي

المبحث الثالث :

فلسفة ودوافع المجال الحيوي

المبحث الاول

المفهوم التقليدي للمجال الحيوي

قبل بيان مفهوم المجال الحيوي معنىً ودلالة من الناحية الجغرافية والسياسية لابد ان ننطلق من تحديد المفهوم من الناحية اللغوية .

ذكرت بعض المعاجم أن المجال هو موضع(الجَولان*) [١] وان مجال كل شيء اي ميدانه كما ورد في المعجم العربي الاساس معاني هذه المفهوم تفصيلا إذ جاء فيه [٢] :

- هو موضع الجَولان
- الحقل اوالميدان اوالنطاق ويقال اسهم في مختلف المجالات العلمية والادارية والسياسية
- مكان او موضع : يقال الم يبقى مجال في هذا الامر، ويقال في هذا المجال اي بهذا الصدد .

اما كلمة حيوي فهي اسم منسوب للحي ويقال امر حيوي ذو اهمية ضرورية وخطيرة [٣]

اما اصطلاحاً فمعنى هذا المفهوم في (معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية) يشير ان البعض يستخدم مصطلحي(vital space)(living space) كمرادف بالمعنى نفسه لمصطلح (lebensraum) وهو مصطلح الماني[٤]. وقداطلق خبراء الاستراتيجية والعلاقات الدولية على مصطلح(lebensraum) (المنطقة الحيوية اومنطقةالحياة او منطقة البقاء او مساحة المعيشة)[٥].

عَرف (القاموس السياسي) المجال الحيوي على انه نظرية سياسية جاء بها الالمان وتهدف الى امكانية ان تتوسع الدول على حساب جيرانها من اجل أن تلبي حاجاتها ومتطلباتها المتزايدة، ولهذا كثُر من يَرّدُ هذا التعبير في المراجع الاجنبية الى لفظتها الالمانية الاصلية (lebensraum) ويقصد به المجال الاقليمي الذي يعد ضرورة لبقاء دولة ذات الكثافة السكانية والنشاط الاقتصادي والاجتماعي الكبير في

---

* الجَولان هو مصدر للفعل جالَ ومن معاني هذا الفعل : تحرك اضطرب وطاف وتردد ينظر ابراهيم انيس ومجموعة من الباحثين ، (المعجم الوسيط دار الدعوة بيروت ١٩٩٤، ص١٢٨).

[١] - ابي قاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد الزمخشري ، اسس البلاغة (تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٩٨ ، ص١٤٦.

[٢] – مجمع اللغة العربية مجموعة باحثين ، المعجم الوجيز ، بيروت ، ١٩٨٩ ، ص١٢٨ .

[٣] – ابراهيم انس واخرون ، قاموس المعجم الوسيط ، ط٤ ، مكتبة الشرق الدولية ،٢٠٠٤،ص١٢٣

[٤] – سموحي فوق العادة ، معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية ، ط٢، مكتب لبنان ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص٤٠٤

[٥] – محمد طه بدوي،مدخل الى علم العلاقات الدولية،المكتبةالمصري الحديث للطباعة والنشر، القاهرة ،١٩٧٧ص١٧٢

حين تضيق عليها حدودها السياسية المقيدة بالاتفاقيات الدولية عن ممارسة هذا النشاط الضروري لبقائها، بمعنى أنها ترى نفسها في حِلٍ عن مخالفة مبادئ القانون الدولي اذا ما توسعت اقليمياً على حساب جاراتها من الدول الصغيرة على اعتبار ان هذه الدولة تمتلك موارد معطلة من الثروات الطبيعية تقيم حصارا حول الدول الكبيرة يحرمها من ضروريات البقاء [١]

فالمجال يعني موقعاً ومساحة في لغة الجغرافي في حين يمثل طموحات إقليمية لا حدود لها في لغة الجيوبولتيكي[٢]. ويرى(سيار كوكب الجميل)أن مفهوم المجال الحيوي هو النطاق الاستراتيجي او الحيز الجغرافي الخصب والجاذب للقوى الدولية دوماً ليس في التحرك والتفاعل فحسب بل في ترسيخ جملة من الاساليب والنظم والمرتكزات وهو الدائرة الجغرافية الكبرى التي لها تصنيفاتها ومقوماتها الحقيقية والتي تتضمن المركزية بكل ما تتصف به من الجاذبية والفاعلية والحركة والقوة والاستقطاب، كما تشمل ايضاً الاطراف المحيطية بالمركزية والتي تكون جاذبة اليها دوماً [٣] .

اما رايمون آرون فقد عرف المجال على انه (المسرح الواقعي لحركة الدول او الميدان الذي تتحرك الدولة داخله) وعده عاملا اساسيا من عوامل قوة الدولة في وسط معين وقد يكون هو نفسه عامل ضعف في وسط آخر كاتساع المديات مثالاً على ذلك الاقليم الروسي الذي شكل عاملا اساسياً من عوامل قوتها عندما تعرضت للهجوم من هتلر وقبله نابليون ولكن قد يكون هذا العامل نفسه من عوامل الضعف الجيوبوليتكية عندما تنتقل روسيا من وضع الدفاع الى الهجوم لما يترتب عليه من اطالة الخطوط الامامية والتمويل[٤]

---

[١] – احمد عطية الله ، القاموس السياسي ٣ ، دار النهضة العربية ، ط، القاهرة ، ١٩٦٨، ص١٢٥.

[٢] - محمد ازهر السماك ، الجغرافية السياسية الحديثة ، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل، ١٩٩٣،ص٣٧٥

[٣] - سيار كوكب جميل ، المجال الحيوي للخليج العربي دراسة جيوستراتيجية ، سلسلة دراسات استراتيجية، العدد (٨٥) مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ابو ظبي ، ٢٠٠٣ ، ص٥٣.

4 -Raymond Aron ,Paix et Guerre Entre Les Nations (Calmann-Levy, PARIS , 1982) p63

كما يرى آخرون ان المجال ليس عاملاً من العوامل الثابتة الجامدة بل عاملاً متحركاً يتغير بتغير الظروف المحيطة بالبيئة الاستراتيجية [١]

ويعرف R.Brunet المجال الجغرافي على انه النطاق الارضي المستخدم من قبل المجتمعات البشرية لنموها ولاستمراريتها وان المجال لا ينحصر في الطعام والمأوى فقط بل هو اكثر تعقيداً اذ هو نتاج لنشاطات واعمال بشرية لا تنتهي وهو ايضاً مجال مليء بالصراعات والمجال الجغرافي مجال لمجموعة من العلاقات والاماكن والتفاعلات بحيث لا وجود لمجال دون تفاعلات [٢].

وتعود فكرة توسع الدول خارج حدودها الى العصور القديمة اذ وردت الاشارة اليها لدى كثير من المفكرين فقد ذكر الفيلسوف اليوناني (سترابو) في كتابه (الجغرافيا) إمكانيات الإمبراطورية الرومانية وان تتوسع إذ أنها تتمتع بموقع ممتاز ومناخ ملائم وموارد متعددة ، لذلك تحتل المكان الطبيعي الأكثر ملائمة لقيام دولة تتسع مساحتها من حولها وتكوين الإمبراطورية وان تكون في الدولة الأم (إيطاليا) مقر حكم هذهِ الإمبراطورية[٣]. وكذلك قد تناول (بطرس الاكبر)* هذا المفهوم في وصاياه لروسيا وكانت الوصية الثامنة تتضمن "على الروس ان ينتشروا يوماً فيوماً شمالاً باتجاه بحر البلطيق والسويد " والوصية التاسعة "ينبغي التقرب من الهند واسطنبول لان من يحكم اسطنبول يحكم الدنيا باسرها ويجب محاربة الدولة العثمانية والرومانية وينبغي السيطرة على بحر البلطيق والبحر الاسود" [٤]. وهذه الوصية تدل على ان هذا المفهوم قد تم تناوله وتطبيقه قديماً قبل ان يصاغ في صيغته الحالية .

---

[١] – محمد سامي عبد الحميد ، مقدمة في العلاقات الدولية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٧٤

[٢] – الحسين ابعسين ، مركزية المجال والمجال الجغرافي في الدراسات والابحاث الجغرافية ،على الرابط الالكتروني https://www.academia.edu ,2023\1\8

[٣] – حسام الدين جاد الرب، الجغرافيا السياسية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٨، ص١٩٨.

* **بطرس الاكبر**:اعظم القياصرة الذين حكم روسيا ما بين(١٦٩٦–١٧٢٥) وكان له الفضل في انفتاح روسيا على اوربا وساهم في تطوير واصلاح احوال روسيا الاقتصادية والعسكرية والثقافية كما يوصف انه صانع روسيا الحديثة

[٤] – علي شعلب ، بطرس الاكبر قيصر روسيا ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢ ، ص ٨٥

اما المفكر الألماني (فردريك لست) فقد زار الولايات المتحدة الأمريكية وتأثر بأتساع مساحتها وتطورها الاقتصادي وعندما رجع إلى ألمانيا طرح فكرة توحيد مقاطعاتها ورأى ضرورة توسع ألمانيا وجعل حدودها تمتد من بحر الشمال وبحر البلطيق إلى البحر الأسود وبحر الادرياتيك ، ومع أنه لم يبتكر مفهوم (المجال الحيوي) لكنه أكده لأتباعه [١]

وقد ارتبط المجال الجغرافي بمفهوم الدولة منذ نشأتها بوصفها كيان سياسي وبعد الثورة الصناعية بدأت اغلب الكيانات السياسية تصطدم مع بعضها من اجل ان تتطلع الى مجالات اكثر حيوية بدافع الحصول على الموارد الطبيعية الضرورية وفي القرنين الماضيين ظهرت انماط وصور متعدد للسيطرة على العالم جميعها تصب في غاية واحدة ومن هذه الانماط الاستعمار والاستيطان ثم بدأت هذه الكيانات تعقد التحالفات والمعاهدات من اجل ضمان السيطرة على مجالها الحيوي[٢].

وفي القرنين الثامن والتاسع عشر تطورت الأفكار الحتمية في مجال الجغرافية ويرجع جانب كبير من تطور الجغرافية السياسية آنذاك إلى جهود أثنين من العلماء الألمان هما (كارل ريتر وفردريك راتزل)[٣].

وقد استمد (كارل ريتر)* (Karl Ritter ١٧٧٩- ١٨٥٩) آراءه في هذا المجال من القوانين التي وضعها (داروين) في ذلك الوقت لنظرية التطور فأخرج نظرية لتطور الثقافات ذكر فيها بأن الثقافات والحضارات البشرية المختلفة ما هي إلا وجود عضوي داخل الطبيعة وأنها تولد وتنمو وتنضج ثم ما تلبث ان تموت وتفنى أي لها دورة حياة ، كما كتب (دارون) عن قوانين الاختيار الطبيعي والبقاء للأصلح وعن حاجة الأنواع القوية من الاحياء إلى مجال تتطور فيه ، وكتب (ريتر) نظريته السياسية وطور فيها قوانين

---

[١] – مثنى مشعان خلف، الأهمية الجيوستراتيجية للوطن العربي، مجلة دراسات وبحوث الوطن العربي، العدد(١٨) ٢٠٠٦ ، الجامعة المستنصرية ، مركز الدراسات وبحوث الوطن العربي، بغداد، ص٢٧.

[٢] – محمد سامي عبد الحميد ، مصدر سابق ،ص٧٤ .

[٣] – أبراهيم أحمد سعيد، ممدوح شعبان دبس، تطور الفكر الجغرافي، منشورات جامعة دمشق، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، دمشق، السنة بلا، ص٣٥٢.

* (كارل ريتر) علماً من أعلام المدرسة الجغرافية الألمانية في القرن التاسع عشر. أستاذاً لعلم الجغرافية في جامعة (برلين) وكان يقوم بالتدريس في الكلية الحربية الألمانية

(داروين) بما يتلائم مع نظريته فهو يذكر ان عناصر القوة في اي حضارة ضرورية لبقائها بين الحضارات المنافسة لها وان الحضارة أو الثقافة من أجل أن تعيش وتبقى لابد لها من ان تصارع غيرها بما تمتلك من قوة من أجل المجال الذي تريد ان تتوسعاليه وعليها ان تسحق في طريقها كل العناصر الضعيفة التي تدخل في منافستها[١].

ويتخذ(المجال الحيوي)من الدولة (الأرض)مستوى أساس للتحليل التقليدي إذ يحظى هذا التحليل بخاصية فريدة جعلته موضع جذب واهتمام سواء من القادة السياسيين أو العسكريين أو صناع القرار إذ يمكن الإفادة من هذا التحليل على تحديد الاستراتيجيات الداخلية والخارجية للدول نحو المناطق المجاورة وتقدير المناطق التي يحتمل جداً ان يحدث فيها صراع وتصادم المصالح الدولية [٢]. وما ينتج من هذا الصراع الدائم الحصول على مساحة أكبر على حساب جيرانها الأضعف قوة منها، فأن ما حدث بين الدول هو الحال نفسه ما يحدث بين الكائنات الحية إذ يعيش القوي على حساب الضعيف وهذا يطلق

عليه (قانون البقاء للأقوى)[٣].

ولتسليط الضوء على نشأة وتطور مفهوم المجال الحيوي سنتناول أبرز المنظرين لهذهِ الفكرة وهم (فردريك راتزل،كيلين، كارل هاسهوفر) اذ المجال الحيوي يتخذ من الارض المستوى الاساسي للتحليل التقليدي اذ يمكن لهذا التحليل الذي جذب اهتمام كثير من القادة السياسيين والعسكريين وصناع القرار الاستفادة منه وتوقع المناطق التي يحتمل ان يحدث فيها تصادم مصالح الدول الراغبة بالتمدد والتوسع ، وكانت هذه الافكار تشكل هذا المفهوم بالطريقة التقليدية اي التوسع على حساب المناطق المجاورة .

وفيالسياق نفسه اتفق عدد من الباحثين على أن فكرة(lebensraum) مفهوم ابتدعه فريدرك راتزل

---

[١]- محمد متولي، محمود ابو العلا، الجغرافية السياسية ، مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة ،١٩٧٧، ص٢٩.

[٢]- ابراهيم احمد سعيد ، ما بين الجغرافية السياسية ومخاطر الجيوبوليتيك والعولمة ، دار الاوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٦، ص١٧.

[٣]– خليل حسين، الجغرافية السياسية دراسة الأقاليم البرية والبحرية وأثر النظام العالمي في متغيراتها، دار المنهل اللبناني، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٩، ص٢٩.

وتعني(مكان العيش او مساحة المعيشة)والتي فسرت مشكلات المانيا على انها ترجع الى فرض حدود قاصرة وغير عادلة عليها وكان الحل هو التوسع والتمدد الجيوبولتيكي[١] .

١- فريدرك راتزل

اذ يعد راتزل المؤسس الحقيقي لهذه لنظرية (المجال الحيوي) إذ انه صاغ هذهِ الفكرة في نهاية القرن التاسع عشر بشكلها العلمي فقد كان يهدف إلى إعطاء أساس جغرافي لكل من علم السياسة وعلم العلاقات الدولية إذ أبرز زخماً قوياً هو وأتباعه لمبدأ التوسع الإقليمي للدولة كضرورة عضوية للكيان السياسي[٢]. انطلق راتزل من مفهومه للمجال الحيوي من علاقة هي كلما ازداد عدد سكان الدولة كلما كان ذلك مبرراً للتوجه نحو مكان اكبر واوسع لتوفير القوت لهذه الاعداد المتزايدة وينتج عنه صراع دائم اذ تقوم الدول القوية بالاستيلاء على الاراضي المجاورة من اجل الحصول على مساحة جديدة تمد نفوذها اليها وتستغل مواردها وهذا هو نفسه ما يحدث بين الكائنات الحية [٣]

وكانت فكرته الرئيسة ان الدولة كائن عضوي تنمو وتكبر وتزداد متطلباتها باستمرار و شبه حدودها بجلد الكائن العضوي والذي تتمدد باستمرار مع نموها وانها خاضعة للحتمية البيئية لانها كائن مكاني حي مرتبط مصيرها بالمجال الارضي ومن اجل البقاء لابد لها من ان توسع هذا المجال كلما زاد عدد سكانها وتعاظمت قوتها وطموحاتها حتى ولو بالقوة وبخلاف ذلك فانها سوف تضمحل وتنهار[٤].

ويعد راتزل أول من ناقش فكرة ان الدولة تبدأ في النمو والتوسع من القلب إلى الاطراف إذ ركز على ان التوسع في السيطرة السياسية من النواة يؤثر في أنماط نمو بعض الدول كما هو الحال في فرنسا

---

[١] - بيتر تايلور وكولن فلنت ، الجغرافية السياسية لعالمنا المعاصر ، جزاء ١ ، ترجمة : عبد السلام رضوان واسحاق عبيد ، مطابع السياسية ، الكويت ، ٢٠٠٢، ص ١٠٥ .

[٢] - نعيم ابراهيم الظاهر ،الجغرافيا السياسية المعاصرة في ظل النظام الدولي الجديد، دار اليازوري، عمان،١٩٩٩ص٨٧

[٣] - فايز محمد العيسوي، الجغرافية السياسية المعاصرة ، دار المعارف الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٠، ص٢٩

[٤] - حيدر شاكر عبيد السلطاني، المجال الحيوي الالماني والياباني بين الحربين ،مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية ،العدد(٢)،٢٠١٩ ،ص٣٧٩

وروسيا القيصرية إذ بدأ التوسع في هاتين الدولتين من النواة باتجاه الأطراف تدريجياً[١].وتصدرت فكرة المجال الحيوي تحليلات المفكر الألماني ، وقصد بهذا المصطلح(المساحة الجغرافية التي تتطور داخلها الكائنات) وعرف (راتزل) نوعين من المجال الحيوي العام(General lebensraum) والاخر المجال الحيوي الطبيعي(Natual lebensraum) والذي يعد بمثابة البيئة الطبيعيةالبيولوجية، وكان يؤكد على ان المجال الحيوي هو قوة سياسية على درجة كبيرة من الأهمية، وقد برز تأكيده على فكرة المجال الحيوي في عام ١٨٩٦، عندما نشر مقالاً في مجلة في احدى المجلات الألمانية الذي كان عنوانه (قوانين النمو الأرضي للدول) والتي حددها بسبعة قوانين والتي بموجبها تنمو الدول[٢]

وبهذا فان الصراع الدائم للحصول على مساحة اكبر اذ تقوم الدول القوية بالحصول على مساحات جديدة على حساب جيرانها الاضعف لذلك فان ما يحدث بين الدول هو الحال نفسه الذي يحدث بين الكائنات الحية اذ يعيش القوي على حساب الضعيف اذ يطلق عليه قانون(البقاء للاقوى) واصبحت هذه الفكرة فيما بعد اساس لمفهوم المجال الحيوي الالماني ، وعليه آمن راتزل بالقوة المطلقة كأساس لتحقيق الدولة لأهدافها وان حدود الدولة قابلة للحركة والتغير اذ ركز على عدم ثبات الحدود الذي يعد ضامن لأمن الدولة وكينونتها [٣] .

وامتداداً لذلك فقد اشار راتزل الى أن المساحة وحدها لا تكفي ولا تعد عاملاً مجرداً قادراً على الفعل لوحده ما لم يكون محصناً بالعوامل الاخرى واهمها عامل القوة العسكرية من اجل ان تحمي تلك المساحة الكبيرة فضلا عن ان الدولة القوية هي التي تتمتع بقدرات سكانية واقتصادية وثقافية تتعدى حدودها

---

[١]–علي سالم الشواورة، جابر الحلاق،الجغرافيا الطبيعية والبشرية، دار المسيرة للنشر ، عمان ٢٠٠١ص ٤٥٢

[٢]– اسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسية الدولية دراسة تحليلية مقارنة ، منشورات ذات السلاسل ،الكويت ، ط٢، ١٩٨٧ ، ص٣٠١.

[٣] – نور الدين عبد الله نايف ، توظيف المجال الحيوي في الادراك الاستراتيجي الروسي ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية ،. جامعة بغداد ، ٢٠٢١، ص٣٠.

الاقليمية القائمة ولهذا فان من هذه الدولة لابد ان يتولد لديها ميول توسعية [١] . وفي عام١٨٩٧ نشر(راتزل) كتابه الشهير(الجغرافيا السياسية) والحق به دراسات أخرى أهمها كتابه(المجال الحيوي Lebensraum) عام ١٩٠١ ثم كتابه (الأرض والحياة) عام ١٩٠٢أي قبل وفاته بعامين[٢]. بالرغم من كثرة انصار ومؤيدين ا راتزل في مسألة المجال الحيوي الا انه تعرض للنقد ومن قبل بعض المفكرين البريطانيين والامريكيين بخصوص أفكاره وقوانين النمو الأرضي الخطيرة للدول وعلى وصفه الدولة (كائناً حياً) إذ كانت تشجع على الصدام والإخلال بالسلام العالمي اذ تستدعي عسكرة الدولة، فأن العلاقات الدولية لهذهِ الدولة ستكون مبنية على الاستعداد العسكري وأن العدوان سيكون مبرراً في سياسة تلك الدولة وبهذا فأن الفصل بين النمو والتوسع والنزعة العسكرية يصبح من غير الممكن [٣].

وعلى الرغم من انتقاد بعض الباحثين لنظرية (المجال الحيوي) فأن واقع المجتمع الدولي مازال يشير إلى ان الدول تسعى إلى حماية نفسها عن طريق زيادة قوتها وذلك بالسيطرة على المناطق الحيوية ذات المنافع الاقتصادية والبشرية تمهيداً لزيادة قدرتها العسكرية والاقتصادية ومن ثم فأن سعي كل دولة نحو البحث عن مصادر القوة وتحقيق أهداف نفوذها وتبوئها المكانة والهيبة الدولية التي تطمح لها، يعد هدف أغلب دول العالم في سياستها الخارجية[٤]. وقد تبنى فكرة(راتزل) في (المجال الحيوي) عدة سياسيين ومن بينهم (كيلين وكارل هاوسهوفر) لذلك الأفكار الألمانية تؤمن في اغتصاب الأراضي كما قال (هاوسهوفر) "أن الدولة يجب أن تتوسع والا ستموت" [٥].

---

[١] - كلاوس دودز ودبفبد انكنسون، الجغرافية السياسية في مائة عام، الجزء الاول، ط١، القاهرة ،٢٠١٠،ص٧٩

[٢]- معين حداد، الجيوبوليتيكا قضايا الهوية والانتماء بين الجغرافيا والسياسة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، ٢٠٠٦، ص٢١.

[٣]- نور الدين عبد الله نايف، مصدر سابق ، ص٣١ .

[٤] - هُدى مهدي صالح ، المجال الحيوي لروسيا الاتّحادية في إطار دورها الإقليمي رسالة ماجستير(غير منشورة) ، كلية العلوم السياسية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٤ ، ص١٠

[٥]-عبد العباس فضيخ الغريري، البيئة والجغرافية السياسية، دار صفاء للنشر والتوزيع،عمان،٢٠٠٣، ص١٤٨.

٢- رودلف كيلين

وهو المؤرخ والعالم السياسي السويدي (١٨٦٤-١٩٢٢) وأستاذ العلوم السياسية في جامعة اوبسالا أول من اطلق مصطلح (الجيوبوليتيكا) في عام ١٨٩٩ والتي عرفها بأنها (البيئة الطبيعية للدولة) ويعد (كيلين) من أفضل طلاب (راتزل)، الذي نقل عن أستاذه مفهوم (الدولة كائن عضوي) تكون الأرض التي يعيش عليها الجسد وتكون العاصمة القلب والرئتين وتكون الطرق والأنهار الاوردة والشرايين، ومناطق التعدين والإنتاج الزراعي هي بمثابة الأطراف، وان أهم ما تعني به الدولة هو القوة كما ان حياة الدولة تعتمد على التربية والثقافة والاقتصاد والحكم وقوة السلطان، وقد رأى ان الجغرافية يجب ان تُسَخر لخدمة الدولة، وبذلك تحولت الجغرافية على يد(كيلين) إلى (جيوبوليتيكا) [١]. وان فكرته تقول بأن الدولة كائن حي تحتاج الى الغذاء بشكل موارد ومجال حيوي ، لذا فهي تحتاج الى توسيع مجالها عن طريق الدمج والاستعمار والاحتلال وان الدولة ككائن عضوية قابلة للنمو او الموت او انها تعيش عبر مراحل الولادة والنمو والتطور والشباب والنضج والشيخوخة مع احتمال اعادة الشباب وان حيوية الدولة تأتي في وقت محدد [٢]

وأوضح (كيلين) ان الدولة في سعيها وراء القوة ليس من الضروري ان تسير دائما في توسعها الإقليمي فحسب ولكنها قد تتبع الأسلوب الثقافي والتقني للوصول إلى أهدافها فأن توسع الدولة لا يأتي من الخارج وانما يأتي من إرادة الشعوب وقادتهم ، كما يعطي التوسع للدول استمراريتها ووحدتها وولاء شعوبها ومن ثم المحافظة على قوميتهم كما أكد (كيلين) انه ينبغي ان تتوفر في الدولة ثلاث خصائص لتصبح في عداد الدول الكبرى ، هي(الإتساع الجغرافي وحرية الحركة والتلاحم الداخلي)[٣] وقد اعطى كيلين اهمية خاصة لشرق اوروبا وضرورة ان تتوسع المانيا على حساب الدول الصغير في حدودها الغربية والشرقية ودعا لضرورة التحالف مع السوفيت من اجل الوصول الى هدفهم على اساس ان اساليب الحرب والسيطرة

---

[١]- فتحي محمد أبو عيانة،دراسات في الجغرافية السياسية، دار النهضة العربية ، الاسكندرية ، ١٩٩٨، ص٣٠

[٢] - واثق شعبان عبد الله ، المجال الحيوي في السياسة التركية الخارجية بعد العام ٢٠١١، رسالة ماجستير(غير منشورة) ، معهد العلمين للدراسات العليا ، ٢٠٢٢، ص٣٦

[٣]- حسين الريماوي ، مقدمة في الجغرافية السياسية، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، ١٩٩٨، ص٢٨.

العسكرية لن تساعد المانيا من السيطرة وضم الاتحاد السوفيتي اليها، كما ان تحالفهم مع السوفيت سيتيح لهم الوقوف بوجه البحرية البريطانية والتي كانت تسيطر على بحار العالم[١]

٣- كارل هاوسهوفر*

تأثر كارل هاوسهوفر بآراء من سبقوه في كتابات السياسة الارضية وخصوصاً (راتزل وكيلين) وقد أسس (معهد ميونخ للجيوبوليتكا) في١٩٢٤، والبحث في نشأة هذا العلم وأسسه واخطر ما في فلسفة هاوسهوفر السياسية هي الدعوة الى التوسع الالماني والصراع والحرب الشاملة من اجل السيطرة على العالم ، تحول هذا المعهد الى أداة للسياسة القومية الألمانية ولأغراضها التوسعية و باتت جغرافية الحرب الشاغل الأول للشعب الألماني ولقيادته السياسية وان اكثر المصطلحات التي عبرت عن افكار هذه المرحلة [٢]. وحول هوسهوفر مفهومه عن الجيوبولتيك إلى خدمة الأغراض القومية لألمانيا، أي أن فكرة المجال الحيوي أصبحت من وجهة نظر الدولة ذاتها وأن ينبغي أن تحقق المطالب القومية وأن تناضل في سبيل تحقيق هذا المجال الحيوي الذي يعد مرادفا للتوسع العسكري وقد كانت هذه الأفكار من الجوانب الرئيسة التي ارتكزت عليها النازية الألمانية في توسعها الإقليمي في أوربا بعد الحرب العالمية الأولى [٣]

وكان هوسهوفر ينظر إلى الدولة من زاوية قومية ولهذا كان يرى أن من المؤكد أن تستولي ألمانيا على الدول الصغرى المجاورة لها ولا شك أن هذا يعد انعكاسا لأفكار معهد ميونيخ الذى عد الشعب الالماني سيد الشعوب والشعوب الاوربية الاخرى هي شعوب مساعدة [٤]. لقد آمن (هاوسهوفر) بأن الحياة ستكون

---

[١] – محمد اكرم الاحمر ، الجغرافية السياسية، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ٢٠١٠، ص١١٣ .

* بدأ حياته ضابطاً في الجيش الألماني وذهب إلى اليابان عام ١٩٠٨ ودرس عن الشرق الأقصى والمحيط الهادي ثم تولى تدريس الجغرافية السياسية والعلوم العسكرية في ألمانيا بعد حصوله على الدكتوراه عام ١٩١١ مما أدى الى حصوله في عام ١٩١٨على لقب الأستاذية في الجغرافية والتأريخ الحربي من جامعة (ميونخ)،

[٢] – محمد أكرم الأحمر ، مصدر سابق ، ص٣٦

[٣] – واثق شعبان عبد الله ، مصدر سابق ، ص٣٠

[٤]- عاطف علبي، الجغرافية الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبولتيكا ، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان ، ١٩٨٩ ، ص ٣٤٤

للدول الكبيرة، اما الدول الصغيرة فمصيرها الزوال وان الدولة يجب ان تتوسع والا ستموت وقد نظر لحدود الدولة كالعضو المغلف للكائن الحي وهو قابل للتغيير (اي النمو والاضمحلال)[١].

ويعطي هنا هاوسهوفر معياراً مهماً لضرورة التوسع والتي ترتبط بفكرة المجال الحيوي من حيث المجال التطبيقي ، ويتعامل المجال الحيوي مع ما يطلق عليه في الادبيات الجيوبوليتيكية بالحيز المكاني الذي تشغله الدولة بكل ما تشمله من جوانب سكانية وحجم الاقليم وموارد ومدى قناعة جميع الدول بالدرجة التي قد تضعها امام خيارات استراتيجية دفاعية وتستهدف فيها الحفاظ على مكانتها والدفاع عنها او هجومية تسعى عن طريقها الى التوسع او تغير الوضع الراهن [٢] .

وبعد ان تسلم هتلر الحكم عام ١٩٣٣عين هاوسهوفر رئيساً للاكاديمية الالمانية اذ تأثر بافكاره اذ اشار الى نظرية المجال الحيوي في كتابه (كفاحي) وكما ساهمت الأوضاع السيئة التي كانت تعيشها المانيا في ذلك الوقت في تبلور هذا المفهوم وخصوصاً بعد الهزيمة التي لحقت بها في الحرب العالمية الاولى والالتزامات الكبيرة التي فرضتها معاهدة (فرساي)* على المانيا ومنها دفع الغرامات المالية الكبيرة للدول المتضررة فضلاعن خسارتها العديد من الاراضي الالمانية مما أثر على اقتصادها وخصوصاً بعد ازمة الكساد العالمية[٣]

بعدها بدأ هتلر بتطبيق المبادئ الجيوبوليتيكية وفكرة المجال الحيوي ورفع شعار بعث الامة الالمانية من جديد وتوظيف افكار هاوسهوفر التي كانت تشكل حافزاً للنازيين نحو التقدم والقوة وفي التوسع على

---

[١] - يحيي الفرحان، نعيم الظاهر، الجغرافيا السياسية، الشركة العربية المتحدة للتسويق والنشر، القاهرة، ٢٠١٠، ص١١

[٢] - نور الدين عبد الله نايف ، مصدر سابق ، ص٣٤.

* **فرساي:** وهي معاهدة فرضت على المانيا بعد خسارتها للحرب العالمية الاولى من قبل دول الحلفاء المنتصرون في عام ١٩١٩ وقد تم تعديلها عام١٩٢٠ لتعترف بمسؤوليتها عن الحرب وترتب عليها تعويض الاطراف المتضررة

[٣] – زكي العابدي واخرون ، المعنى والقوة في النظام العالمي ،ترجمة سوزان خليل دار سينا ،القاهرة، ١٩٩٤ص٩٣

حساب المناطق المجاورة والذي اتخذ من الضغط السكاني تبريراً لهذا التوسع اذ تحتاج هذه الزيادة السكانية الى مزيداً من المساحات والموارد الاقتصادية التي تسد حاجتهم [١]

وقد تم حضر ومنع تداول مفهوم الجيبوليتك (المجال الحيوي) بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية من قبل الحلفاء وجرى حذفه من برامج التعليم والتوقف عن استخدامه في دول كثيرة على اعتبار انه احد العلوم التي اوحت للنازيين بسياسة التوسع الخارجي اذ وصفها الجغرافي الامريكي هرتشهورن " ان الجيوبوليتيكا كانت سما فكرياً" وانها مجرد علماً زائف مبني على العدوانية وان التفسير الجيوبوليتيكي كان مرادفاً للتوسع المكاني النازي[٢] . ثم اعيد تداول هذا المفهوم في نهاية عقد سبعينات القرن الماضي وكان الصحفيون ورجال الاعمال اول من فعل ذلك ليتبعهم بعد ذلك الباحثون في العلوم السياسية والقضايا الاستراتيجية والعلاقات الدولية، وبعد انتهاء الحرب الباردة تطور مفهوم المجال الحيوي واصبح لا ينظر اليه كمفهوم تقليدي قائم على اساس جغرافي (الارض) فقط اذ وبفضل التطورات التي حدثت في البيئة الاستراتيجية تحول المجال الحيوي الى مفهوم اوسع واشمل واصبح ينظر اليه على اساس المصالح وتنامي العلاقات التبادلية بين الاقاليم والدول فضلاً عن الامتداد الجغرافي وفي ظل النظام الدولي الجديد، ارتبط المجال الحيوي بالمنظور الحديث بالمصالح الحيوية للدولة [٣] . وهذا ما سنتناوله في المبحث الثاني.

ويمكن القول ان المجال الحيوي هي المنطقة التي تسعى الدول لضمها اليها وتعدها جزءاً منها ويحق لها استثمار مواردها واستخدام اراضيها متى رغبت بذلك ،او انها رغبة الدول الطامعة والراغبة في التوسع في مساحتها ومجالها الارضي والبحري والجوي في المناطق المجاورة لها او مد نفوذها السياسي والاقتصادي والعسكري الى مناطق قد تكون بعيدة عنها جغرافياً وتعدها جزءً من مجالها الحيوي . كما يقصد بالمجال الحيوي انه سيادة الدولة ونفوذها خارج رقعتها الاصلية اي خارج حدودها الوطنية وقدرتها

---

[١] – عدنان السيد حسين ، الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، ١٩٩٦، ص٦٩

[٢] – كلاوس دودز وديفيد اتكنستون ، مصدر سابق ، ص٩

[٣]– نور الدين عبد اللة نايف، مصدر سابق ، ص ٣٩

على التحكم بمقدرات وموارد تلك المناطق وتعد الدولة كائن حي ذو حدود ديناميكية تتحرك بنموها وانها اذا ما ارادت البقاء اوحماية نفسها فعليها ان توسع رقعتها ونفوذها وتتمدد خارج حدودها الفعلية .

ولقد مر مفهوم المجال الحيوي بكثير من الارهاصات والتغيرات منذ فترة نشأته حتى الوقت الحاضر اذ تركت الاوضاع السياسية والتاريخية والجغرافية التي مر بها العالم خلال الفترة الماضية اثراً كبيراً في مضمون هذا مفهوم ، ويرى الكثير من المفكرين ان هناك العديد من الجوانب المنطقية والواقعية ومستقبلية التي لها اثر ايجابي على الدول التي تتبعه وتساهم في مد نفوذها الى مناطق اوسع خارج حدودها الاصلية وتحقيق الرفاهية لشعوبها وتزيد من قوتها .

وقد تمخض عن هذا المفهوم وجهان او جانبان الاول هو المجال الحيوي التقليدي والجانب الثاني هو المجال الحيوي الحديث او المعاصر الذي سوف نتناوله في المبحث الثاني ، اذ تعد الافكار التي جاء بها رواد الفكر الجيوبوليتيكية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين هي المفهوم التقليدي لفكرة للمجال الحيوي والذي استمد من الارض اساساً لتحليله اذا كان يعتمد على الجوانب الجغرافية فقط دون اعطاء اهمية للجوانب الاخرى ، واهمال جوانب القوة مثل القوة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وكان تركيزه يقتصر على القوة العسكرية فقط ، وقد اخذت المانيا خططها من هذه الافكار وجعلتها ودستوراً سارت عليه وطبقته في توسعها وهوما نتج عنها الحربين العالميتين الاولى والثانية ، وان سبقتهم الدولة العثمانية في التمدد في منطقة شرق وغرب البحر المتوسط ايام ازدهار وقوة هذه الامبراطورية والتي تحاول تركيا اليوم اعادة شرق المتوسط اليها باعتبارها جزء من ارثها و تاريخها